المحاضرة الأولى : البيداغوجيا - التّعليميّة.
(قراءة في المفاهـــــيم)

عنوان المحاضرة: من البيداغوجيا إلى التّعليميّة.

الأهداف العامة للمحاضرة

من البيداغوجيا إلى التّعليميّة.

-يحدّد مفاهـــيم (البداغوجيات- التّعليمية).

-يتعرّف على التّعليمية اللّغوية- تعليمية اللّغات.

- يكتشف علاقة التعليمية باللسانيات التطبيقية.

تعريف البيداغوجيا:

يتّفق المربّون على أنّ البيداغوجيا لفظ عام يطلق على كلّ ما يرتبط بالعلاقة القائمة بين معلّم ومتعلّم بغرض تعليم أو تربية الطّفل أو الراشد ، وأنّ موضوعها يرمي إلى بناء عقيدة تربوية تكون في الوقت ذاته، نظرية تطبيقية، إذ ليست البيداغوجية علما أو تقنية أو فلسفة أو فنا فحسب، بل هي في الوقت ذاته كل هذه الأشياء منظمة حسب ارتباطات منطقية حيث يقدم علم الاجتماع وعلم النفس الأسس العلمية للبيداغوجيا.

ويعتبر فعلا بيداغوجيا كلّ تدخل للمدرس، لفظيا كان أو غير لفظي، يتوخى من خلاله إقامة تواصل مع التلاميذ قصد تبليغ إرسالية (معرفة أو مهارة أو أي شيء آخر) أو استحسان سلوك التلاميذ أو إحداث تغيّرات على مواقفهم وضبط نشاطهم.

تعريف التعليمية (الديداكتيك):

لهذا المفهوم عدة تعاريف، نقتصر على ذكر بعضها:

1 - الديداكتيك علم مساعد للبيداغوجيا حيث تعهد إليه بمهمات تربوية عامة لإنجاز تفاصيلها، مثل ستدرا اج المتعلّم لاكتساب هذه الفكرة أو هذه العملية ؟ أو تقنية ما ؟ ويرى" ع. هانس" أن تلك المشكلات هي التي تبحث الديداكتيك عن حلّها.

2 -الديداكتيك شق من البيداغوجيا موضوعه التدريس (*LALLANDE*).

- الديداكتيك هي بالأساس تفكير في المادة الدراسية بغية تدريسها*(B.JASMIN)*.

- الديداكتيك هي الدراسة العلمية لتنظيم وضعيات التعلّم التي يعيشها المتعلّم لبلوغ هدف عقلي (معرفة، علم)، أو وجداني (قيّم، مواقف)، أو حسي ـ حركي (كمختلف الرياضات، الرقصوتعنى الدراسات الديداكتيكية بالوضعيات التعلمية التي يكون المتعلم فيها اللاعب الرئيس حيث يقتصر دور الأستاذ على تسهيل عملية تعلّم التلاميذ، كتصنيف المادة التعليمية تصنيفا يناسب حاجات التلاميذ، وتحديد الطريقة الملائمة لتعلّمه، وتحضير الأدوات الضرورية والمساعدة على هذا التعلّم. وهذا يتطلب الاستعانة بعلم النفس لمعرفة الطفل وحاجاته، والبيداغوجيا لتحديد الطرائق المناسبة. وكلّ هذا من أجل تحقيق أهداف العملية التعليمية التعلمية (***LAVALLE***.)

التعليمية اللغوية:

هذامصطلح جديد ظهر في الثمانينيات، يدلّ على التعليم اللغوي بشكل خاص، وتعليم المواد الأخرى بشكل عام (تعليم التاريخ ـ تعليم الفلسفة ـ تعليم المواد العلمية .... الخ). ولا يزال يكتنف هذا العلم بعض الغموض، ويعود ذلك إلى حداثة نشأته من جهة، وا ٍلى تقاطعه مع علوم أخرى من جهة ثانية. [كعلم اللسان بمختلف فروعه (اللسانيات العامة) و علم النفس العام، وعلم النفس اللغوي،و علم الاجتماع اللغوي، و علم النفس التربوي...].

كما عرّف المصطلح عند نشأته اختلافات في دلالته من بلد إلى آخر لاسيما في الدول الغربية، حيث اختلفت مباحث دراسته بين فرنسا، وكندا. أما في إيطاليا وسويسرا فكان يشير إلى كل من علم النفس اللغوي وعلم النفس التربوي بينما نجده في بلجيكا يرادف (البيداغوجيا). أما في الوقت الحالي فقد بدأت تتضح معالم هذا المصطلح حيث أصبح يدلّ على العلم الذي يهتم بتعليم اللغات، وتعملها وطرق اكتسابها، وذلك بالاستعانة بجملة من العلوم التي لها علاقة بمجالاته.

تعليمية اللغات (*LA DIDACTIQUE DES LANGUES*):

هي مجموع الخطابات التي أنتجت حول تعليم اللغات سواء أتعلق الأمر بلغة المنشأ أم اللغات الثانية. وقد نشأت في بدايتها مرتبطة باللسانيات التطبيقية مهتمة بطرائق تدريس اللغات،ثمّ انفتحت على حقول مرجعية مختلفة طورت مجالات البحث في الديداكتيك، وأصبحت تهتّم بمتغيّرات عديدة من مكونات العملية التعليمية التعلمية ومتغيّراتها .

وتميّز خطاب تعليمية اللغات بتداخل الحقول المرجعية كالإعلاميات والبحث الأدبي وعلم النفس وعلم الاجتماع والإثنولوجيا ... فمن هذه العلوم، حاولت الأبحاث حول تعليمية اللغات، الإجابة عن بعض مشكلاتها.

علاقة التعليمية باللسانيات التطبيقية:

تعتبر تعليمية اللغات أنسب ميدان لتطبيق ما توصلت إليه النظرية اللسانية من كم معرفي، ما حققته من نتائج يتوجباستثمار ها في مجال البحث اللساني النظري إسهاما منها في ترقية طرائق تعليم اللغات سواء في ذلك لغة المنشأ أم اللغة الثانية، حتى أنها أضحت مركز استقطاب بلا منازع في الفكر اللساني المعاصر.

نتيجة لذلك، تطور الوعي بأهمية البحث في منهجية تعليمية اللغات بشكل ملحوظ في السنوات الأخيرة حيث انصرف اهتمام الدارسين على اختلاف توجهاتهم العلمية وتباين المدارس اللسانية التي ينتمون إليها ، إلى تكثيف الجهود من أجل تطوير النظرة البيداغوجية الساعية إلى ترقية الأدوات الإجرائية في حقل التعليمية ، مما جعلها تكتسب المبررات العلمية لتصبح فرعا من مباحث اللسانيات من جهة ، وعلم النفس من جهة أخرى ، الأمر الذي منحها شرعية كاملة في الوجود ، لا من حيث كونها فنا من الفنون كما كان سائدا وشائعا عبر حقب زمنية مختلفة ، بل من حيث إنها علمقائم بذاته له مرجعيته المعرفية ومفاهيمه واصطلاحاته وإجراءاته التطبيقية .

من هذا المنطلق، وجدنا التعليمية تحتل مكانتها بجدارة بين العلوم الإنسانية. غير أن المتتبع لتطور الظروف والعوامل الثقافية يجد أن ظهور مصطلح التعليمية didactique في الفكر اللساني والتعليمي المعاصر يعود إلى ماكاي M.F.MAKEY الذي بعث هذا المصطلح القديمdidactique من جديد للحديث عن المنوال التعليمي. وهو ما دفع بأحد الدارسين إلى

التساؤل قائلاً: "لماذا نتحدث نحن أيضاً عن تعليمية اللغات بدلاً من اللسانيات التطبيقية؟و هو عمل سيزيل كثيراً من الغموض واللبس ويعطي لتعليمية اللغات المكانة التي تستحقها .

يرى أحمد حساني أنّ الحديث عن العلاقة بين اللسانيات التطبيقية و تعليمية اللغات يقتضي منهجيا وبالضرورة أن نتحدث عن المبادئ الأساسية للعلم الذي يمكن له أن ينعت باللسانيات التطبيقية في تعليم اللغات وليست التطبيقات اللسانية فحسب، لأن التطبيقات اللسانية متعددة المجالات (الاتصالات السلكية واللاسلكية ، معالجة المعلومات وتحليلها، الترجمة الآلية، أمراض الكلام ...) ولذلك ينبغي الإشارة إلى بعض المبادئ حصرها أحمد حساني في أربعة:

1) أولوية المنطوق على المكتوب:

يتجلى هذا المبدأ بخاصة في الأولوية التي تعطى للجانب المنطوق من اللغة وذلك بالتركيز على الخطاب الشفوي، وهذا بإقرار البحث اللساني نفسه الذي يقوم في وصفه وتحليله للظاهرة اللغوية على مبدأ الفصل بين نظامين مختلفين نظام اللغة المنطوقة ونظام اللغة المكتوبة ، وهذا ما يؤكده علماء النفس في مباحثهم المتعلقة بأمراض الكلام ، حيث يجمعون على أن نظام اللغة المنطوقة ونظام اللغة المكتوبة نظامان متباينان، ومبرر ذلك أن الظاهرة اللغوية في حقيقتها أصوات منطوقة قبل أن تكون حروفاً مكتوبة، لأن الخط تابع للفظ وملحق به.

ولهذا السبب بالذات يجب الاهتمام أولاً بالأداء المنطوق قبل اهتمامنا بالأداء المكتوب إذ أن تعليمية اللغة تهدف إلى إكساب المتعلم مهارة التعبير الشفوي لأنه هو الطاغي على ما سواه في الممارسة الفعلية للحدث اللغوي، وما يجب ذكره هنا هو أن الكفاية اللغوية تتبدى في مهارتين اثنتين: إحداهما: مهارة شفوية تبنى أساساً على الأداء المنطوق،والأخر ى: مهارة كتابية تؤسس على العادات الكتابية للغة معينة

ولذلك، كان فصل الخطاب المنطوق عن الخطاب المكتوب تسهيلا لعملية الارتقاء لدى المتعلم، حينما نبدأ بالمنطوق نكون قد التزمنا بالترتيب الطبيعي والتاريخي للغة. فاللغة عبر مسارها التحولي كانت منطوقة قبل أن تكون مكتوبة .

2)- تحقيق مبدأ التواصل:

يتمثل الدور الذي تقوم به اللغة في كونها وسيلة اتصال يستخدمها أفراد المجتمع البشري لتحقيق عملية التواصل فيما بينهم. فهي تحقيق الرغبة في الاشتراك داخل الحياة الاجتماعية ومن هنا فإن متعلم اللغة يسهل عليه اكتساب المهارات المختلفة باندماجه في الوسط اللغوي، وهذه ضرورة بيداغوجية لا بدّ من توافرها لتحقيق النجاح المتوخى من تعلّم اللغة بعامة واللغة الأجنبية بخاصة، لأن درس اللغة الأجنبية لا يكون ناجحاً إلا إذا سد الاحتياج الذي تتطلبه العملية التواصلية داخل المجتمع اللغوي، وذلك ما يبرر استخدام الطريقة الموازية في تعلم اللغة للأجانب وللمبتدئين الذين ينتمون إلى مجتمع لغوي متجانس .

3)- شمولية الأداء الفعلي للكلام:

يتمثل هذا المبدأ في شمولية الأداء الفعلي للكلام حيث أن جميع مظاهر الجسم لدى المتكلم تتدخل لتحقيق الممارسة الفعلية للحدث اللغوي، وذلك ما هو مؤكد لدى جميع الدارسين اللسانيين وعلماء النفس المهتمين بالظاهرة اللغوية الذين يقرون بأن استعمال اللغة يشمل مظاهر الفرد المتكلم – المستمع . فمن الناحية الفيزيولوجية – مثلاً – فإن حاسة السمع وحاسة النطق معنيتان بالدرجة الأولى. ولذلك فإن أغلب الطرائق التعليمية هي طرائق سمعية – بصرية، وبعض الجوانب الحركية العضلية أيضاً لها دخل في تحقيق التواصل اللغوي كاليد التي لها علاقة مباشرة بمهارة الكتابة،و عضلات الوجه والجسم تتدخل أثناء الخطاب الشفوي لتعزيز الدلالة المقصودة من الأداء الفعلي للكلام. ومن ثمة يتبدى بوضوح أن كل جوانب شخصية الفرد لها حضور دائم وفعال في دعم العملية التواصلية بين أفراد المجتمع اللغوي (إضافة إلى الإيماءات والإشارات والحركات).

4 استقلالية النظام اللساني:

يتمثل هذا المبدأ في الطابع الاستقلالي لكل نظام لساني وفق اعتباطيته المتميزة التي تجعله يتفرد بخصائص صوتية وتركيبية ودلالية يتماز بها عن سائر الأنظمة اللسانية الأخر ى، ولذلك، فإن العملية التعليمية الناجحة للغة تقتضي إدماج المتعلم مباشرة في الوسط الاجتماعي للغة المراد تعليمها، مع الحرص الشديد على عدم اتخاذ لغة الأم وسيطا لتعلم اللغة الأجنبية، حتىوا ٍ ن كانت اللغتان متقاربتين جداً ، لأن ذلك سوف يؤدي إلى الإحباط والفشل في

امتلاك النظام القواعدي للغة الثانية ، وهذا ليس معناه عدم الإفادة من النتائج العلمية التي يمكن أن تتحقق من خلال المقارنة بين اللغتين، وذلك بالفعل ما يسير عليه الأستاذ أثناء تحضيره للدرس لأن العناصر اللسانية لا تأخذ قيمتها إلا بالمقارنة بين هذه العناصر في الأنظمة اللسانية المختلفة على كل المستويات (المستو بالصوتي والمستو بالتركيبي والمستو ى الدلالي) وهي المستويات التي تكون المرتكزات الأساسية لتعلم اللغة.

من هذا المنطلق، نلاحظ أنّ الكثير من الدراسات في مجال تطوير المناهج التعليمية في فرنسا و إنجلترا وأمريكا وفي بلدان أخر ى استطاعت أن تذلّل الصّعوبات والعوائق التي تعترض سبيل متعلمي اللغة الأجنبية. وهذه الدراسات كلها تؤكد أهمية الأخذ بعين الاعتبار اللغة الأساسية عند الطفل مع الاحتياط من خطر التداخل بين اللغة الأم واللغة الأجنبية، على أن هذا الأمر سوف يكون سهلاً إذا ما ضبطت نقاط الارتكاز ضبطاً دقيقاً. ويقصد بنقاط الارتكاز كل ما هو متواز في اللغتين المعنيتين.

على الرغم من مساهمة النظرية اللسانية في تطوير طرائق تعليم اللغات، فإنّ ما يمكن لنا ملاحظته منذ البدء، هو أن العلاقات بين اللسانيات وتعليمية اللغات لم تصل بعد إلى الغاية المتوخاة علمياً وبيداغوجيا، وما يؤكد ذلك هو العزلة العلمية التي يعاني منها أستاذ اللغة، فمنذ زمن ليس بالقليل ما فتئ أستاذ اللغة يبعد من اهتماماته الأبحاث اللسانية معتبراً مادته فناً وليست بعلم. وهذا في الواقع تصور وهمي لا يرقى إلى مستوى الوعي العلمي والبيداغوجي.

مراجع ذات صلة بالموضوع:

1. بنعيسي احسينات، حول مقاربة المنهاج الدراسي في مجال التربية والتعليم- من البيداغوجية والديداكتيك إلى المنهاج الدراسي.
2. عبد اللطيف الفاربي وآخرون، معجم علوم التربية-مصطلحات البيداغوجيا والديداكتيك-1994.
3. عبد المجيد بن الصغير ، لمحة عن تعليمية المواد ،مجلة همزة وصل، عدد خاص،1992
4. علي شريف بن حليمة ، تعليمية المواد العلمية،مجلة همزة وصل ، عدد خاص، 1992،
5. معجم علوم التربية، مصطلحات البيداغوجيا و الديداكتيك، 1994، ط1.